الفصل والوصل في القرآن الكريم: دراسة في آيات أوصاف الله تعالى

ID No.976

(PP 219 - 232)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.SpB.13

بەناز مظفر نورالدين

قسم اللغة العربية،كلية اللغات،جامعة صلاح الدين-أربيل

banazmdhafar@gmail.com

دلدار غفور حمدامين

قسم اللغة العربية،كلية اللغات،جامعة صلاح الدين-أربيل

deldar.hamadameen@su.edu.krd

الاستلام: 2023/02/19

القــبول: 2023/05/07

النـــشر: 2023/12/15

ملخص

إنّ مباحث علم المعاني – باعتباره شعبةً من شُعب البلاغة الثلاث – تبقى غزيرة متجددة لما تتضمنه من دلالات كثيرة عند التطبيق ولا سيما في القرآن الكريم، ويعد الإلمام بالفصل والوصل مما لا بد من معرفته لدارس لغة القرآن، إذ تتوضح من خلاله الكثير من المعاني والأحكام وسيظهر ذلك جلياً من خلال التطبيق على الآيات المتضمنة لأوصاف الله سبحانه وتعالى في آيات أسماء الله الحسنى.

يقوم هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، تناول التمهيد التعريف ببلاغة القرآن الكريم في آيات أوصاف الله تعالى، والواردة في الآيات التي تضمنت أسماء الله الحسنى وصفاته جلَّ وعلا، أما المبحث الأول فعرض مواضع الفصل وتطبيقاتها، في حين درس المبحث مواضع الوصل وتطبيقاتها، واعتمد البحث على المدّونات التفسيرية والبلاغية، وغيرها من المصادر المتنوعة التي اقتضاها البحث، كما ذيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الفصل، الوصل، علم المعاني، أسماء الله الحسنى، القرآن الكريم.

1. مقدمة

ممّا لاشك فيه أنّ من أسمى العلوم قدراً، وأجلّها مرتبة، وأعلاها منزلةً، وأكملها نفعاً، وأعظمها أجراً، تلك التي ترتبط بكتاب الله – عزّ شأنه وجلّ ثنائه وتقدّست اسمائه – الذي أنزله على عبده ولم يجعل له عوجاً، أنزله بلسان عربيّ مبين؛ ليكون هدايةً ورحمةً للعالمين، ليبين لهم به سبيل الحقّ، ويُدحض به الباطل، ويُفحِم ببلاغته أهل الفصاحة والبيان، ويُلجم بحججه أهل الزيغ والضلال إلجاماً.

ولا يختلف فيه اثنان، أنّ العلم بالله – الواحد الأحد الفرد الصمد – وأسمائه وصفاته هو أشرف المقاصد وأعظم المطالب على الاطلاق، والانقطاع لفهم صفاته وأسمائه من أشرف الغايات والفهوم، لتعلقه بأشرف معلوم.

إنّ المتأمل في كتاب الله الكريم، يلحظ بوضوح الانتظام اللطيف، والنظم الدقيق والانسجام الذي وردت به أسماء الله الحسنى، والذي يشكل آية من آيات إعجازه البلاغي البديع .

يُمثل القرآن الكريم أرضية زاخرة بعطائها في المجالات اللغوية جميعها، ولا سيما المجال البلاغي، لما يكتنفه من وسائل وعناصر يتـرابط بعضها ببعض برابط في ظاهرة الفصل والوصل مثلاً، وسبب اختيار الآيات المتضمنة على أوصافه سبحانه في الآيات الدّالة على أسماء الله الحسنى، أنّ الظاهرة – الفصل والوصل – ولدت باديء الأمر من رحم تلك الآيات كبقية الظواهر اللغوية سواء أكانت في البلاغة أم غيرها، فأصبح من الطبيعي أن تتخذ الدراسة الآيات القرآنية مجالاً؛ ليكون حجة تطبيقية تسندها في ما ستتوصل إليه، إضافة لما تميز القرآن الكريم عن غيره من النصوص بلاغة الأسلوب التي وصلت حد الإعجاز، وإنّ مقام الآيات القرآنية ينماز عن غيره من المقامات بكونه نص إلهي بالغ القدم ومتجدد لكل عصر في الوقت نفسه.

يتناول البحث الفصل والوصل من حيث مفهومهما، وأنواع كل واحد من الفصل وهي: كمال الإتصال ، وكمال الإنقطاع، وشبه كمال الإتصال، ثمّ يسلّط الضوء على مواضع الوصل وذلك إذا اتفقت الجملتان خبراً وإنشاءً، وإذا اختلفتا أيضاً إذا فُهِمَ من الجملةِ خلاف

المقصود، أو إذا كان المُخبرَ عنه في الجملتين واحداً، ويبينُ سبب اختيار الواو لوصل المفردات أو الجمل عند العلماء، وذلك عن طريق الاستعانة بالتفسيرات والكتب البلاغية الواردة بخصوص هذه الآيات المتضمنة على أسماء الله الحسنى والمعنية بشرحها وتفسيرها.

2. التمهيد: في التعريف ببلاغة القرآن الكريم في آيات أوصاف الله تعالى

إنّ للّغة استخداماتٌ عدّة منها: نقل حقائق العلوم والمعارف والتي يُطلب منها أن تكون دقيقة ومحددة، ومنها لغة الأدب والفن والتي تكون وسيلةً جمالية، يُطلب منها إعطاء أكثر من دلالتها التي وضعت لها، وتُعبرعن أمور لا تتضمنها المعاجم.

وقد فطن ابن فارس (ت 395هـ) إلى ما تتمتع به لغة القرآن الكريم من استخدام خاص للوسائل الفنية، وذهب الى القول بأنه لايمكن ترجمة ونقلها الى لغةٍ أخرى، حينما نقل عن بعض العلماء ما للعرب من التقديم والتأخير والاستعارة والمجاز وغيرها من سنن العرب ما ورد في القرآن الكريم، وأنّ أحداً لايمكنه أن يأتي ما تضمنته الآية دون الزيادة في القول، أو البسط في العبارة، ممّا دفعه الى القول: "ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله الى شيء من الألسنة، كما نقل غيره من الكتب السماوية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب" (ابن فارس (د.ت)، 41 _ 42)، (ابن فارس (د.ت)، 41 _ 42)، ولمّا كانت التراكيب تختلف من أديب لآخر، ومن معنى لمعنى، مراعاة لمقتضى الحال، وعلى وفق قواعد النحو، كان وجود ما أُطلق عليه (علم المعاني) من الأمور الضرورية التي تكشف مدى مطابقة الوجه المستخدم لمقتضى الحال، فحين يستخدم الأديبُ اللغةَ يُقدّم ويؤخر، ويذكر ويحذف، ويُعَرّف وينكر، ويستخدمُ أداةً دون غيرها، وبهذا يريد أن يتوخى الوجه المناسب للمعنى الذي يريدُ أن يعبرّ عنه، والتي تتوقف البلاغة على إصابته للوجه المناسب.

إنّ لغة القرآن تثير وجدان القاريء، إثارة روحية رفيعة، تُحدِثُ السرور في النفس فتقبل وتطمئن، أو تُحدثُ فيها الألمَ فتأبى وترفض،لأن القرآن لا يعتمد على التفكير وحده للإقناع، بل يتكىء على التفكير وعلى الوجدان ليستميل، فهو في أحكامه وبراهينه، وفي وعده ووعيده، وأوامره ونواهيه، وقصصه، ووصفه، وابتهاله وتسبيحه، لا يغفل ناحية النفس الإنسانية، لأن العمل غالباً يرتبط بها ويقترن، فالقرآن ببلاغته يهاجم جميع القوى البشرية، لتحقيق هدفه: من تهذيب النفس، وحب العمل الصالح والحث عليه، والإيمان بالله واليوم الآخر. (بدوي 2005م، 36).

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ۞ ﴾(النساء69_70)، نرى أنّ الآية أثارت فينا شعور الإبتهاج والغبطة، حين نتخيّل أنفسنا أننا إن أطعنا الله ورسوله، فسنكون رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا الشعور يدفعنا الى الانقياد والطاعة.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا۞ ﴾ (النساء: 56)، تقذفُ الآيةُ الرعبَ في النفس، عندما نتخيل أصحاب النار، وقد نضجت جلودهم، فبدلوا بها جلوداً غيرها، لا تلبث أن تنضج كرّاتٍ وكرّات، فيملكُ المرء خوفاً شديداً من هذا المصير المؤلم، فاتحة الكتاب تُثير فينا الحب والإجلال معاً، ويبعثُ في النفسِ الفرحَ عند انتهاجنا الصراط المستقيم، بأن نكون مع الذين أنعم الله عليهم.

عندما أبلغ الرسول محمد (ﷺ) الدين الجديد قدّم لهم القرآن دليلاً على صدق دعوته، وبرهاناً على أنّهُ نبيٌّ مُرسَل، وتحداهم به، مصداقاً على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۞ ﴾ (الإسراء: 88 وقد كان العرب عند مبعث الرسول (ﷺ) في نهضة لغوية شاملة، فيهم شعراءٌ نوابغ، وخطباءٌ مصاقع، ولهم كما يقول الجاحظ (ت255هـ): "القصيد العجيب والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج، واللفظ المنثور" مع أنهم كانوا يتنافسون على الفصاحة والبلاغة، ولكنهم وقفوا في حيرة من أمر هذا الكتاب المعجز، وهم المدركون لأساليبه، العارفون لمناهجه ، فقد وجدوا تأثيرالقرآن في أنفسهم تأثيراً بالغاً، لذا نسبوه حيناً الى الشعر، وحيناً آخر الى السحر: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۞ ﴾(الأنبياء: 5)، ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ ﴾ (المدثر: 24).

قد نسب العربُ القرآنَ الى السحر بما رأوا من سمو، وكأنّهم يريدون أن يقولوا أنّ القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتيَ قوة خارقة، وليس من جنس قوى البشر.

لذا عكف المسلمون على دراسة القرآن الكريم وبيان إعجازه، فذهبوا مذاهب وآتجاهات مختلفة، فمنهم من اتجه الى القول بأنّ القرآن معجز ببلاغته؛ من أمثال: (أبي عبيدة) في كتابه (مجاز القرآن)، و (الرّماني) في (النكت في إعجاز القرآن)، و (الفرّاء) في (مجاز القرآن) وغيرهم.

بذا غدا المصنفات الأولى في الإعجاز أشبه بمباحث بلاغية تتناول أبواباً قدّروا أن إعجاز القرآن يعرف بها. والأخبار كثيرة ومستفيضة عن دهشة العرب أمام القرآن، وتأثيره الفعّال الذي تركه سماع القرآن عليهم، سواء كافرهم أم مسلمهم.وعليه ذهب الخطابي (ت388هـ) الى قول: إنّ البشر تعذر عليهم الإتيان بمثل القرآن، إنّما صار معجزاً لأنّه "جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً أحسن المعاني" (الخطابي 1436هـ، 27).

لذا نوّهَ الخطابي الى البلاغة و طبقاتها، بأنّ الكلام أجناس مختلفة، وفي نسبة التبيان تتفاوت، وفي درجة البلاغة تتباين مُشيراً الى أنّ بلاغة القرآن في أعلى الطبقات كقوله: "فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز المطلق. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة، فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة))وقد يُفهم من هذه العبارة أن بلاغة القرآن تجمع بين الدرجات العليا والوسطى والأدنى، ولكن هذا مردود من ناحيتين:

إحداها: أن فهمنا للإعجاز البياني فوت لأعلى درجات البلاغة دون أوسطها وأدناها، ومؤكداً ذلك بقول الرّماني(ت384هـ): "فما كان أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس" (الرُّماني 1436هـ، 75).

ثانيهما: ليس من الضرورة اجتماع هذه الدرجات الثلاث في السورة الواحدة، وبسورة واحدة كان التحدي والمعاجزة. (بنت الشاطىء 1431هـ، 102)، وإنّ الفخامة والعذوبة اللّتين تحدّث عنهما الخطابي وهما على الانفراد في نعوتهما متضادان؛ لأنّ العذوبة نتاج السهولة، وأمّا الجزالة والمتانة فتعالجان نوعاً من الزعورة، مع نبو كل واحدٍ منهما على الآخر فضيلة خصّ بها القرآن ليكون آية بيّنة لرسوله(ﷺ).

إذا تأملنا القرآن وجدنا هذه الأمور منه غاية الشرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظ، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وتشاكلاً من نظمه، وأمّا معانيه فكل ذي لبٍ يشهدُ له الترقي الى أعلى درجاته، ولا يجتمع هذه الفضائل الثلاث مجتمعةً إلا في كلام العليم القدير. (عقيلة 1440هـ، 398/6)، وكما يراه الباقلاني فيما أنّ إعجاز القرآن في بلاغته : "وهو أنّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة الى الحد الذي يعجز الخلق عنه" (الباقلاني 1349هـ، 69).

وعلى هذا التأسيس فُتِحَ مجالٌ واسعٌ لفئةٍ كبيرة من الباحثين عن كُنه الإعجاز البلاغي؛ كـ(أبي هلال العسكري) في كتاب (الصناعتين) الذي جاء به ليكشف التباين بين بلاغة النّص المقدّس، وبلاغة النّص البشري.، وقد ظهرت محاولات مبكرة في الاعجاز البلاغي، وآشتهر عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بأنّه صاحب مذهب الإعجاز في النظم، وآشتهر أبو بكر الباقلاني بأنّه أول من بسط القول في بلاغة القرآن.، ولمّا كانت البلاغة سرّ إعجاز القرآن، يجب أن نلتمس أسبابها، وندرك مظاهرها، وأن نُظهر الخصائص التي تعرض في نظم الكلم، فتتميزُ بلاغة القرآن في:

1.2. نظمه

لا تفضيل للكلمات فيما بينها منفردة في المعجم، من حيث دلالة كل مفردة على معناه، إلا إذا كان بعض الكلمات أسهل جرياً على اللسان، وأخف نطقاً، ككلمة (النفس) أسلس من كلمة الجرشي، فإذا ما نظمت الكلمة في جملة وصارت دالة على نصيبها من المعنى، فما الذي جعل من ايثار هذه الكلمة دون تلك، أو ما الذي جعل من وقع الاختيار على هذه الصيغة دون الأخرى؟ إنّهُ النظم. (بدوي 2005م، 49).

فمثلاً ترى أنّ الأسلوب قد يبهرك ويذهلك، وإذا أخذت كل مفردة على حده، فقد لا تجد فيه كبير روعة و دهشة، ولكن عندما تنتظم هذه المفردات، فتتلائم ما قبلها، وترتبط بما بعدها، وتكتسب جمالاً وجلالاً، وإن شئتَ فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ ﴾ (هود: 44) فإذا أخذنا كل مفردة على حدة، فقد لا نجد لها من التأثير مانجده لها، وهي بين أخواتها تؤدي معناها.

فالآية تُصوّرُ لنا ما حدث بعد الطوفان تصويراً حسياً، من ابتلاع الأرض ماءها، ونقاء السماء بعد أن كانت مغطية بسحبها، وقد طُهرت الأرضُ من رِجس المشركين، وتؤكد الآية في نفسك كيفية استجابة هذه الطبيعة العظيمة وخضوعها وانقيادها لأمر خالقها، بعد أن كان هذا المطر المدرار ينهملُ من السماء، وهذا الماء الطاغي يجتاح نواحي الأرض، وهذا الاضطراب يعمُّ أرجاء الكون،

ثمَّ لم يلبث أن سكن وآستقرّ، وعادت الطبيعةُ الى هدوئها بعد أن تلقت أمر الله بأن تهدأ وتسكن، ولكن لمّا كان هذا الأمر قد صُدِرَ الى الكون من غير أن يُرى أو يُسمَع قائله، لذا بُنِيَ الفعل للمجهول، وجاءت كلمة ﴿ابلعي﴾ بدلاً من (امتصي) مثلاً، لأنّها لا تدل على الإسراع في التشرب مثلما تدل ﴿ابلعي﴾مصورة لما تصنعه الأرض بمائها، وفُضّلت مفردة ﴿استوت﴾ على (رست) لما في كلمة (استوى) من الدلالة على الثبات والاستقرار، وأُوثرت كلمة﴿بُعداً﴾ دون (هلاكاً) مثلاً، إشارةً الى أنّ هلاك هؤلاء القوم الظالمين إنّما قُصِد به إبعادهم عن الفساد في الأرض، وفي كلمة بُعدا نجد الراحة النفسية التي شعر بها من في الكون، بعد تخلصهم من هؤلاء القوم الظالمين، ولعل استخدام المصدر يُؤكدُ أنّ الفعل قد تمّ. (بدوي 2005م، 49_50)، وتتجلى بلاغة القرآن أيضاً في:

2.2. ختيار اللفظ

يتألق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، بما فيها من فروع دقيقة في دلالاتها، يستخدم كل لفظ لتأدية معناه بدقة فائقة، بحيث لا تستطيع كلمة أخرى توفيه المعنى الذي وفّت به أختها، وتكادُ تؤمن بأن هذا المكان خُلِق لها، فكل لفظة تؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد ترادفاً في القرآن، بل كل كلمة تحملُ معنىً جديداً، ولما بين الألفاظ من فروقٍ دقيقةٍ، ولما يبعثه بعضه من إيحاءات خاصة، دعا القرآن إلى عدم استعمال كلمة مكان أخرى، فقال سبحانه: ﴿۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات: 14)، فهو لايقبل التهاون في استعمال اللفظ، بل يدعو الى التدقيق فيه، ليدل على الحقيقة من غير لبس أو تمويه، قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ ﴾(ال عمران: 180) كلمة ﴿مِيرَاثُ ﴾ ، وهي أدق من لفظة (ملك) في هذا الموضع، لما يرى المال في أيدي الناس، ولكن في النهاية يصبحُ ميراثاً لله سبحانه وتعالى. (بدوي 2005م، 50 - 60).

قد يحتاج الانسان الى التريث والتدبرفي إيثار لفظة على أخرى، ولكنه لا يلبث أن يجد رفعة و سمواً للتعبير القرآني، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ۞﴾ (الحج:27)، فقد يبدو للنظرة العاجلة أن يوصف الفج بالبعد، فيقال: فج بعيد، مناسبة للموسيقى والفاصلة للآية التي سبقتها، ولكن أوثرَ الوصف بالعمق، تصويراً لما يشعر به المرء أمام طريق حصر بين جبلين، فصار كأن له طولاً، وعرضاً، وعمقاً. (بدوي 2005م، 50- 60).

إنّ من دقة أسلوب القرآن في اختيار مفرداته و ألفاظه ما أشار اليه الجاحظ (ت255هـ) حين قال: "وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع، إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكر السغب، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث" (الجاحظ 1431هـ، 34/1).

ألفاظ القرآن ممّا يجري على اللسان في سهولةٍ ويسر، ويَعْذُب وقعه على الأذن، في اتساق وانسجام. وممّا نقل السيوطي عن هذا الكتاب: " اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزأى الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولابد من استحضار معاني الجمل، واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر، فأكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه، وإن كان مشتملاً على الفصيح والأفصح، والمليح والأملح، ولذلك أمثلة منها قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ۞ ﴾ (الرحمن:54). لو قال مكانه: ((وثمر الجنتين قريب)) لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره الى حال يجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل" (ع. السيوطي 1431هـ، 125/1).

3.2. الفاصلة

المقصود بها تلك الكلمة التي تُختَم بها الآية من القرآن، كما جاء عند ابن منظور(711هـ): "أواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله عزوجل، واحدتها فاصلة" (ابن منظور 1988م، 524/11).

أتى عند الزركشي(ت794هـ): "الفاصلة هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع" (الزركشي 1376هـ_1957م، 53/1)، ومن الباحثين من عرّف الفاصلة بقوله: ((بأنها حروف متشاكلة في المقاطع، تقع عند الاستراحة بالخطاب، لتحسين الكلام بها كقافية الشعر وقرينة السجع، توجب حسن إفهام المعاني، وبها يحصل تنزيه كلام الله تعالى عن الاعتباط والعبث والتكلف)) (رقية 2021، 107_108)، ولعلّ الفاصلة مأخوذة من قوله سبحانه: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۞ ﴾(فصلت 3)، وربما أطلقت

بذلك؛ لأن بها يزداد المعنى وضوحاً وجلاءً وقوةً، وبها يتم بيان المعنى، فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت، وتنزل الفاصلة من آيتها، لتكميل معناها، ولإتمام الموسيقى، فنراها أكثر ما تنتهي بالميم والنون وحروف المدّ، وهذه الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها، قال سيبويه: "إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصّوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا". (سيبويه 1408هـ، 204/4). ولو قرأنا وتأمّلنا القرآن الكريم، لرأينا في نظم حروفه، وتركيب كلماته، وانسجام فواصله، نمطاً فريداً من التعبير البلاغي المُحكم لم يسبق لأحد القول به.

اهتمّ العلماء بالفاصلة القرآنية اهتماماً ملحوظاً؛ لكونها عنصراً مهمّاً في البلاغة القرآنية، وما تؤديه من وظيفة إيقاعية وبيانية في نفس الوقت. (ماضي 2012م، 222- 223). قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ (المؤمنون 13-14)، وهنا قال معاذ بن جبل: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾، فضحك رسول الله (ﷺ)، فقال له معاذ: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت (الدمشقي 1420هـ- 1999م، 242/3).

إذا أبدلت أو غُيّرت الفاصلة، يأبى قبولها، والاطمئنان إليها، صاحب الذوق السليم، كما حُكِي أنّ أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ (البقرة:209) (غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال الأعرابي: إن كان هذا كلام الله فلا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنّهُ إغراء عليه (الزمخشري 1407هـ، 253/1) ، فإنّنا نشعر ما بين الفاصلة والآية من ارتباط وثيق لا ينفصم.

ربما نحتاج الى إمعان وتأمل وتدبر، لمعرفة سرّ اختتام الآية بهذا الوصف دون سواه، ويتراءى لنا أنّ ختمها بسواه أولى، وهاك نموذجاً على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ (المائدة:118)، فقد يبدو أن قوله سبحانه: وإن تغفر لهم، يحتم على الفاصلة أن تكون الغفور الرحيم، ولكن التأمل يهدينا إلى أنّه لا يغفر لمن استحق إلا من ليس فوقه أحد، يرد عليه حكمه، فهو عزيز غالب، وحكيم يضع الشيء في موضعه، وقد يخفى وجه الحكمة عن الفعل، وقد يُتوهم أنّه خارج عن الحكمة، فجاء الوصف بالحكيم احتراساً حسناً، بمعنى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا اعتراض لأحد عليك، والحكمة فيما فعلته. (بدوي 2005م، 66).

في ضوء ما سبق ورغم تعدد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ظلّ إعجازه البلاغي أوالبياني من أهم جوانب إعجازه، ولهذا قال ابن الأثير: "إنّ الإعجاز سيبقى في البيان دون غيره، وإن ثبت أن هناك إشارات علمية أو عددية معجزة" (أبو حمدة 1978، 4).

كما أسلفنا أن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة التي أجراها الله على يد المصطفى (ﷺ) لتكون سنداً ودعماً له لتبليغ دعوته، فجاء القرآن متفرداً ببلاغته وحسن بيانه وبديع نظمه، ليتحدى بها أهلها، وهم أصحاب البلاغة والفصاحة، وما أضافت السنون لمعجزته إلا تألقاً ووضوحاً وبداعةً وكشفت مزيداً من أسراره فأكدت إعجازه.

إنّ القرآن ذو مواطنٍ في إعجازه، وممّا تبدو أهميتها الكبرى من بين كل أنواع الإعجاز هو معرفة أسماء الله وصفاته، لأن معرفة أسمائه الحسنى وصفاته أعظم أصول التوحيد، والتوحيد يبنى على معرفة الله و معرفة أسمائه وصفاته وما تشتمل عليه من المعاني العظيمة؛ لنحسن عبادة الله على الوجه الذي يرضاه لنا الخالق سبحانه (حمدون 1999م، 12).

لذا حثّنا الرسول (ﷺ) على إحصاء أسماء الله الحسنى رغم كثرتها وتنوعها، واتساع أبنيتها والقرآن غنيٌّ بها، و هذا ما نلمسه في الدراسة المعجمية لأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، إذ يطرأ عليه تنوعاً كبيراً في الأبينية و الأوزان الصرفية، نرى كثيراً من الأسماء تتفق في الأصل اللغوي وتختلف في الصيغة، وبالتالي يترتب عليه اختلاف في الدلالة، وقد تتراوح بين ست صيغ هي: اسم الفاعل و صيغة المبالغة و الصفة المشبهة والمصدر و اسم التفضيل و النسب بالصيغة، و يُلفت الانتباه إلى أنّ لكل صيغة أشكالا مختلفة. و فيما يأتي رصد لهذه الصيغ المختلفة مع بيان دلالة كل منها، ومن ثمّ التمييز بين الصيغ. (ماضي 2012م، 180).

4.2. صيغ أسماء الله الحسنى

١,٤,٢. اسم الفاعل

هي ما اشتقّ من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث، ويُصاغُ من الثّلاثيّ المجرّد على فاعل، ومن غير الثّلاثيّ على صيغة المضارع بميم مضمومة وكسر ما قبل الآخر، مثل: (مخرج)، و (مستخرج). (ابن الحاجب 2010م، 41). ومن الثلاثي على وزن الفاعل: الواحد، الهادي، الواسع، القادر، الباسط، القابض، و مثال غير الثلاثي: المقيت، المبين، المتعال، المقتدر، المقدّم، المؤخرّ، المقتدر.

٢,٤,٢. الصفة المشبهة

ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت. (ج. ابن الحاجب 2010م، 41)، وقيل: هو ما اشتق من فعل لازم، مع ثبوت معناه لموصوفه واستمراره دون حدوثه. (الفاكهي 1993م، 190). ، وقد جاءت أسماء الله الحسنى من الثلاثي المجرّد على أوزان وهي: " فعْل"، و " فَعَلٌ " و " فعيل "، نحو: أحد، صمد، غنيّ، عليّ، برّ. (ماضي 2012م، 181).

٣,٤,٢. صيغة المبالغة

هي لفظة تدلّ على ما يدلّ عليه اسمُ الفاعل بزيادة. (الغلاييني 2007، 120)، وقد وردت أسماء الله الحسنى على أوزان وهي: " فعّال "، " فعُول "، " فعيل "، " فعِل "، " فُعول "، " فَعولٌ "، " فَعلان " وغيرها. (ماضي 2012م، 181)، نحو: الملك، الرءوف، الشكور، العفوّ، الغفور، الودود، البصير، الحفيظ، الحفيّ، الحكيم، الحليم، الحميد، الرحيم، الرقيب، الخبير، السميع، العزيز، الشهيد، العليم، القدير، العظيم، القريب، القويّ، الكريم، الكبير، اللطيف، المجيد، المتين، النصير، الوكيل، الوليّ، التوّاب، الخلّاق، الرزّاق، الغفّار، الفتّاح، القهّار، الوهّاب، الرحمن، القدّوس، القيّوم، المجيب، المحيط.

٤,٤,٢. المصدر

المصدر: اسم الحدث الجاري على الفعل. وهو من الثّلاثيّ سماع، ومن غيره قياس، مثل: أخرج إخراجا، واستخرج استخراجا.، ويعمل عمل فعله إذا لم يكن مفعولاً مطلقاً. (ج. ابن الحاجب 2010م، 40). وقيل: هو لفظ يدّل على الحدث، مُجرّداً من الزّمان، متضمّناً أحرفَ فعلهِ لفظاً. (الغلاييني 2007، 104)، و عرّفهُ عباس حسن: وهو ما يدل على معنى مجرد، وليس مبدوءًا "بميم" زائدة، ولا مختومًا بياء مشددة زائدة، بعدها تاء تأنيث مربوطة، نحو: علم، فهم، تقدم، استضاءة، إبانة، بلاء. (حسن 1431هـ، 181)، وقد جاءت أسماء الله الحسنى على وزنين هما: " فَعْلٍ "، " مَفْعَل ". نحو: الربّ، الحيّ، الحقّ.

٥,٤,٢. اسم التفضيل

يصاغ اسم التفضيل من الأفعال التي يجوز التعجب منها للدلالة على التفضيل وصف على وزن أفعل فتقول زيد أفضل من عمرو. (ابن عقيل 1980م، 3/ 174). هو صفةٌ تُؤخذ من الفعل لتدُلّ على أنّ شيئين اشتركا في صفة، و زاد أحدهما على الآخر فيها. (الغلاييني 2007، 125)، نحو: الأعلى، الأكرم.

٦,٤,٢. النسب بالصيغة

هي النسبة بين اسمين، أي الإضافةُ: ويُسمّى الأوّلُ مُضافاً، أمّا الثاني فيُسمّى مُضافاً إليه. (الغلاييني 2007، 487). ويكون بإضافة ذو _ بمعنى صاحب_ إلى المصدر. نحو: ذو الجلال والإكرام، ذو العرش، ذو القوة، ذو الفضل، ذو المعارج، ذو انتقام.

يتبيّن ممّا سبقَ عرضهُ، أنّ معظم أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم جاءت على صيغة المبالغة و التي تفيد التأكيد و التكثير، مثل: " فعّال " و " فعلان "، ويليها اسم الفاعل الذي يدلّ على التجدد والحدوث. (ماضي 2012م،_188).

٧,٤,٢. أسماء الله الحسنى و ظاهرة الترادف

تُعدّ قضية الترادف - منذ القدم - إحدى الظواهر الدلالية التي شغلت فكر العلماء، لذا كثر النقاش والخلاف حول وقوعها في اللغة، فصُنّفَ من أجل ذلك مصنفات عديدة لبيان الألفاظ المترادفة أو التفريق بينها. فَيُفهَمُ من هذا أنّهم انقسموا فريقين بين مُثبت و معارض ولكلّ حججهُ و أدلتهُ، وعلى دربهم سار المحدثون.، والترادف في اصطلاح القدماء كما عرّفه " الرازي " (ت606هـ): " هو الألفاظ المترادفة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد ". (ش. السيوطي (د.ت)، 402/1).

إنّ الناظر في دلالة أسماء الله الحسنى يبدو له من الوهلة والنظرة الأولى أنّها مترادفة، إلا أنّ هذا أمر استبعده العلماء. قال " الغزالي " في " المقصد الأسنى ": " هذه الأسامي، و إنْ كانت متقاربة المعاني .. فليست مترادفة .. مهما كان الاسمان من جملة التسعة و التسعين. لأنّ الاسم لا يُراد لحروفه بل لمعانيه. و الأسامي المترادفة لا تختلف إلّا حروفها. و إنّما فضيلة هذه الأسامي لما تحتها من المعاني، فإذا خلت عن المعنى لم يبق إلا الألفاظ ". (أبو حامد الغزالي 1420هـ ، 24)، فلو كانت الأسماء مترادفة بمعنى واحد لأصبح الاسم الواحد غنيٌّ عنها، فيُغني الرحمن عن الرحيم، و يُغني الواحد عن الأحد و هكذا. إلّا أنّنا نلاحظ أنّ لكل اسم بناء صرفي خاص، ولكل بناء صرفي دلالة مختلفة عن دلالة البناء الآخر تزيد أو تنقص، و إن كانت تنتمي إلى مادة لغوية واحدة، و هذا ما يقودنا إلى بيان الفروق الدلالية بين الصيغ المختلفة ذات جذر لغوي واحد. (القرطبي 2006، 232، ماضي 2012م، 200).

٨,٤,٢. بيان الفروق الدلالية بين الصيغ المختلفة ذات الأصل اللغوي الواحد

سبق و أن ألفتنا الإنتباه إلى أنّ كثيراً من أسماء الله الحسنى جمعتها المادة اللغوية نفسها، إلّا أنّ الصّيغة الصّرفية تختلف، و هذا بدوره يؤدي إلى التغيير في الدّلالة. و فيما يأتي نستعرض أهم هذه الفروق الدّلالية بين أسمائه سبحانه:

١,٨,٤,٢. الرحمن و الرحيم

الأصل أو المادة اللغوية للإسمين واحد، وهو (ر ح م) و الذي يفيد معنى التعطّف و الرّقة، و"الرّحْمَة في بني آدم عند العرب: رِقَّة القلب و عطفه. و رحمة الله: عَطْفُه و إحسانه و رزقه، والرّحمَةُ: المَغْفِرَة؛ وقوله تعالى في وصف القُرْآن: هُدىً و رحمةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون؛ أي فَصَّلناه هَادِياً وذا رَحْمَةٍ " (ابن منظور 1988م، 230/12)، في حين تختلف صيغتهما الصّرفية، ف:

- الرحمن على وزن (فعلان).
- أمّا الرحيم على وزن (فعيل).

كلا الصيغتين للمبالغة إلّا أنّ أحدهما أبلغ من الآخر، والتمييز بين الصّيغتين يتكفل ببيان الفروق الدلالية بينهما، فـ " صيغة فعلان تفيد التكثير في حين تفيد صيغة فعيل التكرار" (الزركشي 1376هـ_1957م، 81/3 _ 84). والرحمن أشدّ مبالغة من الرّحيم؛ لأنّنا كما نعلم أنّ الزيادة في المبنى زيادةٌ في المعنى، فالأول عدل عن الفعل رحم بحرفين، والثاني مزيد بحرف واحد. يقول"العلوي"(ت 1345): "قوة اللفظ لأجل قوة المعنى إنّما تكون بنقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر منها حروفا" (العلوي 1912، 163/2).

إنّ المتتبع لسياقات ذكر الاسمين في القرآن يلحظ أنّ اسم الرحمن شمل المؤمنين و الكافرين معاً، في حين انّ اسم الرحيم ارتبط بالمؤمنين، لهذا قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا۝ ﴾ (الأحزاب: 43). و هذا ما وضّحهُ "الخطابي" بقوله: "الرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم و أسباب معايشهم و مصالحهم، وعمّت المؤمن والكافر، والصالح والطالح وأمّا الرحيم فخاص بالمؤمنين (الطاهر 2002)". (الطاهر 2002، 139 _ 140).

2,8,٤,٢. الغفور و الغفّار

ينتمي الاسمان إلى أصل لغوي واحد وهو الفعل غفر، و"الغفر: المَغْفِرة، وأصل الغَفْرِ التغطية والستر. غَفَرَ الله ذنوبه أي سترها؛ و الغَفْر: الغُفْرانُ والغَفُورُ الغَفّارُ: الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم و ذنوبهم، والغَفْرُ والمَغْفِرةُ: التغطية على الذنوب و العفوُ عنها، و قد غَفَرَ ذنبه يَغْفِرُه غَفْراً و غُفْراناً و مَغْفِرة و غفُوراً. غفر: الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُمَا مِنْ أَبْنِيَةِ المُبَالَغَةِ. (ابن منظور 1988م، 65/11)، فكلا الإسمين من صيغ المبالغة، إلّا أنّهما يختلفان في الوزن؛ فالغفور على وزن فعول، والغفّار على وزن فعّال، فأيُّ عدول عن صيغة إلى الأخرى، يصحبه بدوره العدول عن معنىً إلى الآخر، ونخلص إلى أنّ رغم إفادة الصّيغتين المبالغةَ، إلّا أنّه كُلّاً منهما تختصّ بمعنى تنفرد به عن غيرها، وذلك على النحو الآتي:

تأتي صيغة المبالغة فعول لـ: من كثر منه الفعل، وقيل هو لمن كان قوياً على الفعل، وقال آخرون هو لمن دام منه الفعل. (السّامرائي 2007، 100)، بمعنى أنّ الغفور الذي يغفرُ الذنوب الكثيرة، كما يقول الغزالي: " و الغفور يدلّ على كثرة المغفرة بالإضافة إلى كثرة الذنوب، و الفعول ينبيء عن جودته وكماله، فهو غفور أيّ أنّه تام المغفرة والغفران، حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة ". (أبو حامد الغزالي 1420هـ ، 85)، ومن مواضع ذكره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝ ﴾ (الزمر:53)، أمّا صيغة فعّال فإنّها تدلّ على "أنّ صاحبها قام بالفعل مرة بعد مرة، ووقتاً بعد وقت" (السّامرائي 2007، 94)، فالغفّار فهو الذي يغفر لمن يُذنب مرة بعد مرة _ على عظم الذنوب وكبرها _ يقول "الغزالي": "والغفّار يشير إلى كثرة غفران الذنوب على سبيل التكرار أي يغفر الذنوب مرة بعد مرة" (أبو حامد الغزالي 1420هـ ، 85)، ورد ذكره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝ ﴾ (ص: 66).

إنّ أسماء الله الحسنى يبدو أنّها مترادفة، لكنها في الحقيقة أنّ لكل اسم بناء صرفي خاص، كل بناء صرفي له دلالة تختلف عن البناء الآخر، و إن كانت تنتمي إلى مادة لغوية واحدة، و هذا ما يُو ضّحه (القرطبي) بقوله: "فمعلوم أنّ لكل اسم له مزيّة على الآخر، إمّا من جهة المبالغة أو المعنى، فلا يكون ذكرهما تكراراً من غير فائدة"، وهكذا بدا واضحاً أنّ لكل اسم من أسمائه سبحانه مزايا و دلالة خاصة ينفرد بها بها لا يشاركه فيها غيره، بحيث إنّ كل اسم لا يصلح إلّا للسياق الذي ورد فيه، بشكل لو أنّك وضعت اسما آخر مكانه سترى اختلالاً في المعنى، و هذا يدلّ على أنّ القرآن الكريم جاء على نحو معجز بديع و أخّاذ لا يستطيعه بشر مهما أوتي من البلاغة. (القرطبي 2006، 232، ماضي 2012م، 200).

هكذا يتجلّى مظهر من مظاهر روعة بلاغة القرآن الكريم وبداعتها في الآيات المختومة بأسماء الله الحسنى التي تجمع بين حسن النظم و عذوبة اللفظ، وحسن الدلالة إلى جانب دقّة الموضع و تناغم الوزن، فتأتي الفواصل بديعة الصّنع ومؤتلفة الحروف، ومنسجمة الأطراف, (ماضي 2012م، 235- 238).

٣,8,٤,٢. مواضع الفصل في آيات أوصاف الله تعالى

يعرّف السكاكي الفصل والوصل _ بعد سرده لأحوال الجملة من حيث ارتباطها بغيرها من الاتحاد التام، والانقطاع التام والتوسط بينهما_ قائلاً: " أنّ مدار الفصل والوصل هو ترك العطف وذكره على الجهات الثلاث السابقة" (السكاكي 1987م، 249).

ويعرّفه القزويني بالقول: إنّ الوصل هو عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، وخصّ الجمل، ويجري الوصل والفصل في المفردات أيضاً إلا أنّه أكثر إحكاماً في الجمل لذا خصّ الجمل، وفيما يبدو بدأه بذكر الفصل، لأنّه الأصل، والوصل عارض حاصل بزيادة حرف من حروف العطف، ولكن لما كان الوصل بمنزلة الملكة، والفصل بمنزلة عدم الملكة، وعدم الملكة- الذي هو نفي شيء عمّا من شأنه أن يتصف بذلك الشيء، ويُعرَف عدم الملكة بعد معرفة الملكة لذا بدأ في التعريف بذكر الوصل. (القزويني (د.ت)، 97/3)

إنّ العلم بمعرفة الفصل والوصل، وتمييز مواطن كل منهما يحتاج إلى حسّ مرهف وبصيرة نافذة، وصعب المسلك، ولا يحيط بكنهه إلّا من أُوتي ورُزقَ في فهم كلام العرب طبعاً سليماً كما جاء عند شيخ البلاغة عبدالقاهر: "وممّا لا يتأتّى لتمامِ الصّواب فيه إلّا الأعراب الخُلّص، وإلّا قومٌ طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنّاً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوا – الفصل والوصل - حَدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّهُ سُئِلَ عنها فقال: "معرفة الفصلِ من الوصلِ" ذلك لغموضهِ ودقةِ مسلكِه". (الجرجاني 1992م، 222/1).

ذكر السّكاكي وهو يتحدث عن الجهات التي يجب معرفتها في الفصل والوصل التي هي الاتحاد التام والانقطاع التام والتوسط بين الكمالين كلاماً يُفصحُ عن أهمية هذا الفن؛ فقال: وإنّها - أي معرفة تلك الجهات - لَمَحَكُ البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطائه، ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى، وأن لك في إبداع وشيها اليد الطولى، وهذا فصل له فضل احتياج إلى تقرير وافٍ، وتحرير شافٍ ....." (السكاكي 1987م، 249).

من المعلوم أنّ الفصل أي عدم العطف أصل لا يفتقر فيه إلى زيادة شيء على المنفصلين، والعطف الذي هو الوصل يفتقر فيه إلى وجود حرف مزيد ليحصل، وما يفتقر فيه إلى زيادة فرع عمّا لا يفتقر فيه إلى شيء، وأيضاً العدم في الحادث سابق على وجوده. (الدسوقي 1440هـ، 448/2).

وجاء في الدلائل: "ومما هو أصلٌ في هذا الباب أنَّك قد ترى الجملةَ وحالُها مع التي قبلها حالُ ما يُعْطَف ويُقْرَن إلى ما قبلَه، ثم تراها قَدْ وجب فيها تركُ العطفِ، لأمرٍ عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها" (الجرجاني 1992م، 231/1)

إنّ الوصل هو جمع وربط بين جملتين (بالواو خاصة) لصلة بينهما في الصورة والمعنى: أو لدفع اللّبس، والفصل: ترك الربط بين الجملتين، إمّا لأنّهما مُتحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمّا لأنّهُ لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى. (الهاشمي 1431هـ، 179).

3. الفصل والوصل في البلاغة

١,٣. مواضع الفصل

حدّد البلاغيون مواضع للفصل بين الجمل، وهي:. (الجرجاني 1992م، 243/1، عتيق 2009م، 161 - 163).

1-كمال الإتصال: ويتمثل ذلك بأن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك عندما تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، أو بياناً لها، أو بدلاً منها. جملةٌ حالُها مع التي قبلَها حالُ الصفةِ معَ الموصوفِ والتأكيدِ مع المؤكّدِ، فلا يكونُ فيها العطفُ البتَّةَ، لِشبهِ العَطفِ فيها. (عتيق 2009م، 161- 163)

2-كمال الانقطاع: إذا كان بين الجملتين تباين تام، وذلك إذا اختلفتا خبراً وإنشاءً، وجملةٌ ليست في شيء من الحالين، بل سبيلُها مع التي قبلها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكونُ منه في شيءٍ، فلا يكونُ إيَّاه ولا مشاركاً له في معنى، بل هو شيء إذا ذكر لم يذكر إلا بأمرٍ ينفردُ به، ويكون ذكرُ الذي قبله وتركُ الذكر سواءٌ في حاله، لعدم التعلُّق بينهُ وبينهُ رأساً. وحقُّ هذا تركُ العطف البتَّة. (الجرجاني 1992م).

شبه كمال الاتصال: إذا كانت الجملة الثانية جواباً لسؤال يُفهَم من الجملة الأولى.

١,١,٣. الوصل بـ (الواو)

لا يتحقق بلاغة الوصل إلّا بالواو العاطفة دون بقية الحروف، لأنّ العطف بها تفيد الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، بخلاف حروف عطف أخرى فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثمّ)، وأنّ

الواو أكثر أحرف العطف استخداماً في الكلام، وأكثرها دقةً في مواقعها، ممّا جعلهُ موضوعاً لبحث البلاغيين في باب الفصل والوصل. (الجرجاني 1992م، 224/1، الصعيدي 2005م، 278/2، الهاشمي 1431هـ، 180).

مواطن الوصل بالواو: (الجرجاني 1992م، 226/1، شيخ أمين 1999، 175، الصعيدي 2005م، 299/2، عتيق 2009م، 169).

1-إذا كان المخبرٌ عنه في الجملتين واحداً، نحو: هو يأخُذُ ويُعطي، ويَبيعُ ويَشترَي، أو قُصِدَ به إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي.

2-إذا اتفقت الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنىً.

3-يجب الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبراً وإنشاءً وأوهم الفصل خلاف المقصود.

٢,٣. من شواهد الفصل والوصل في آيات أوصاف الله تعالى

فيما يأتي عرض لبعض الأسرار والمكامن والقضايا البلاغية المتعلقة بموضوعات في أسلوب الفصل والوصل في آي الذكر الحكيم، وما يترتب عليها من آثار بلاغية وكلامية.، ومن هذه النصوص على سبيل التمثيل لا الحصر :

ما ورد في قوله عزّ اسمه سبحانه: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ ﴾ (الشورى: 12).، حيث فُصلت جملة " إِنَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ " عن جملة " لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" لكمال الاتصال بين الجملتين واتفاقهما خبراً وإنشاءً. ومعنى المقاليدُ: جمع إقليد على غير قياس، أو جمع مِقْلاد، وهو المِفْتاح. (ابن عاشور 1984م، 48/25).

قيل: لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ خزائنها. يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ يوسع ويضيق على وفق مشيئته. إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيفعله على ما ينبغي. (القاسمي 1418هـ، 78/5)، (له مقاليد السماوات والأرض) أي خزائنُهُما، و (يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء ويقدر) أي يوسعُ ويضيقُ حسبما تقتضيهِ مشيئتُه المؤسسةُ على الحِكَمِ البالغةِ، و (إِنَّهُ بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ) أي مبالغٌ في الأحاطةِ به فيفعلُ كلَّ ما يَفعلُ على ما ينبغِي أن يُفعل عليه. (أبو السعود 1431هـ، 25/8).

قُدم المجرور لإفادة الاختصاص، أي هي مِلكُهُ لا مِلك غيره، واستعير المقاليد هنا للكنَايَةِ، لخيراتِ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ، شُبّهت الخيرات بالكنوز، وأُثبت لها ما هو من مرادفات المُشبَّه به وهو المفاتيحُ، والمعنى: أَنَّهُ وحدهُ المُتصرّفُ بما ينفعُ النَّاس من الخيراتِ، ويُبينَ جملة (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ) مضمون جملة (لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ)، ويأتي (بسطُ الرّزق) بمعنى: توسعته، وَ(قَدْرُهُ): كناية عن قدرته، وجملة (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) استئناف بيانيٌ هو كالعلَّة لقوله: (لمن يشاءُ)، أَي أَنَّ مشِيئتهُ جارِية على حسب علمه بما يُناسبُ أَحوال المرزوقين من بسطٍ أو قدرٍ. (ابن عاشور 1984م، 25/ 49)، وبيانُ هذا في قوله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۞ ﴾ (الشورى:27).

ومثله ما جاء في قوله جلّ وعلا: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ۞ ﴾ (ص: 35)، ففي هذه الآية فُصّلت جملة " إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ" عن جملة " قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ "، أي: هب لي ملكاً يكون فيه آية تدل على نبوتي، لا ينبغي لأحد من بعدي من الآدميين الذين ليسوا بأنبياء، يكون له آية تدل على أنك غفرت لي وَرَددت إليَّ نبوتي. (الزّجاج 1988م، 333/4)، والدليل على هذا قوله سبحانه: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ ﴾ (ص: 36).

وذكر الزمخشري بأن قدّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم. ومعنى مِنْ بَعْدِي أي دوني. ويسأل الزمخشري: أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطى الله ما لا يعطيه غيره؟ قلت: كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوّة ووارثاً لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب ألفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز، ليكون ذلك دليلا على نبوّته قاهرا للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات، وقيل: كان ملكاً عظيماً، فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه، وقيل: ملكاً لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي، كما سلبته مرّة وأقيم مقامي غيري. ويجوز أن يقال: علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين، وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره، وأوجبت الحكمة استيهابه، فأمره أن يستوهبه إياه، فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده. أو أراد أن يقول ملكاً عظيماً فقال لا ينبغي لأحدٍ من بعدي، ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، وربما كان للناس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ما عنده. (الزمخشري 1407هـ، 95/4)، وجاء التفسير عند القاسمي بـ " قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا

يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ" أي ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أي غيري، لفخامته وعظمته، هبة فضل وإيثار امتنان إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. (القاسمي 1418هـ، 260/8).

من أمثلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝ ﴾ (الزمر: 53). وقد روى سعيدُ بنُ جبير عن ابن عباس: إنَّ ناساً من أهل الشِّركِ كانُوا قتلُوا وأكثروا، وزنوا وأكثرُوا فأتوا النَّبيَّ(ﷺ) وقالوا: إن الذي تدعونا إليه لحسن لو تخبرنا أَنَّ لما عملنا كفَّارة، فنزلت هذه الآية. (البغوي 1420هـ، 1827/4).

وحسب رأي البيضاوي في تفسير آية (قُل يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسرفُوا عَلى أَنفُسهم) أي الذين أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي، وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن، (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) بمعنى لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً، إِنَّ اللَّه يغفرُ الذُّنُوب جَمِيعاً عفواً ولو بعد بُعدٍ وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على إطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يغفرُ أن يُشرَكَ به)، والتعليل بقوله: (إِنَّهُ هو الغفُورُ الرَّحيمُ) على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة، وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة، والإختصاص المقتضيين للترحم، ووضع اسم اللَّهِ موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع. (البيضاوي 1418هـ، 46/5).

قوله: (قُلْ ياعبادي) : قيل في هذه الآيةِ من أنواع المعاني والبيانِ أشياءُ حسنةٌ، منها: إقبالُه عليهم ونداؤهم، ومنها: إضافتُهم إليه إضافةَ تشريفٍ، ومنها: الالتفاتُ من التكلم إلى الغَيْبةِ في قوله: (مِن رَّحْمَةِ الله)، ومنها: إضافةُ الرحمةِ لأجلِ أسمائِه الحُسْنى، ومنها: إعادةُ الظاهرِ بلفظِه في قولِه: (إنَّ اللَّهَ)، ومنها: إبرازُ الجملةِ مِنْ قولِه: (إِنَّهُ هُوَ الغفور الرحيم) مؤكَّدةً ب (إنَّ)، وبالفصلِ. (الحلبي 1431هـ، 434/9،433).

ممّا وردَ أيضاً، ما جاء في قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝ ﴾ (الممتحنة: 5)، أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فيفتتنوا بذلك. (الزّجاج 1988م، 157/5).

وقال "البيضاوي": رَبَّنا لا تجعلنا فتنةً للَّذين كفروا بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله، واغفر لنا ما فرط منا ربَّنا إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي. (البيضاوي 1418هـ، 205/5)، وقالوا ذلك بعد المجاهدة وشق العصا التجاءً إلى الله تعالى في جميع أمورهم، لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم، كما ينطق به قوله تعالى: (رَبَّنَا) بدل من الأول، وكذا قوله: (رَبَّنَا) فيما بعده. (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً)؛ أي: مفتونين (لِلَّذِينَ كَفَرُوا)؛ أي: بأيديهم بأن تسلطهم علينا فيفتونا بعذاب لا نطيقه، فالفتنة بمعنى المفعول، وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وقال بعضهم: ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل، (وَاغفِر لنا) ما فرط منا من الذنوب وإلا كان سببًا لظهور العيوب وباعثًا للابتلاء المهروب، (رَبَّنَا) تكرير النداء للمبالغة في التضرع والالتجاء، فيكون لاحقًا بما قبله، ويجوز أن يكون سابقًا لما بعده توسلًا إلى الثناء بإثبات العزة والحكمة، (إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ)؛ أي: الغالب الذي لا يذل من التجأ إليه، ولا يخيب رجاء من توكل عليه. و (الحَكِيمُ) لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة. (الهرري 2001م، 203/29).

ولنتأمل جمال الوصل بالواو العاطفة في نماذج من آي الذكر الحكيم، نطبقُ عليها المنهج الذي استنبطَ في وظيفة الواو البلاغية، ولنتأكد أيضاً من أنّ الواو لا تشد وثاق جملتين إلّا إذا كان بينهما صلة وتناسب في المعنى، وتلاؤم بين المعطوف والمعطوف عليه في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ (الحديد: 4).

قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرضِ) أي ما يدخُلُ فيها من قطرٍ وغيره، كما قال:" فسلكهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْض(الزمر: 21) من الكنوز والدَّفائن والأموات وما هي له كفات. (وَما يَخْرُجُ مِنْها) من نباتٍ وغيره. (وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ) من الأمطار والثُّلُوج والبرد والصَّواعق والأرزاق والمقادير والبركاتِ. (وَما يَعْرُجُ فِيها) من الملائكة وأعمال العباد، قاله الحسن وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ). (القرطبي 1964م، 259/14).

وجاء في المحرر: ما يَلِجُ في الأَرضِ هو المطر والأموات وغير ذلك، وما يَخرُج منها النبات والمعادن وغير ذلك. وما ينزلُ من السَّماءِ الملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، وما يَعرُجُ الأعمال صالحها وسيئها والملائكة وغير ذلك. (المحاربي 1422هـ، 257/5)، وفسر ابن عاشور الآية هذه في تفسيره (التحرير والتنوير)بالقول: إنّ الآية استِئناف لتقرير عُمُوم علمه تعالى بكلّ شيءٍ فكان بيان جملة وهو على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ (الحَدِيد: 2)، وجملة (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) عَطفُ مَعنىً خاصّ على معنىً شملهُ

وغيرهُ لقصد الاهتمام بالمعطُوف، والمعيَّةُ تمثيل كنائيٌّ عن العلم بجميع أحوالهم، (وأَينَ ما) ظرفٌ مركَّبٌ من (أَينَ) وَهِيَ اسْمٌ للمكان، و (ما) الزَّائدةُ للدّلالة على تعميم الأمكنة. (ابن عاشور 1984م، 27/ 364).

وجملةُ (وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) تكملة لمضمون (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)، وكان حقُّها أن لَا تعطف وإنّما عُطِفَت ترجيحًا لجانب ما تحتوي عليه من الخبر عن هذه الصّفة.(المصدر نفسه، الصفحة نفسها).

لنتأمّل مرةً أخرى روعة الواو الواصلة في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ (آل عمران: 26)، قال البيضاوي: تُؤتي الملْكَ من تَشاءُ وتنزِعُ الملْكَ مِمَّن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد، فالملك الأول عام والآخران بعضان منه، وقيل: المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم وتُعزُّ من تشاءُ وَتُذِلُّ من تشاءُ في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان، وفي جملة (بيدك الخير إِنَّكَ عَلى كُلّ شيءٍ قديرٌ) ذكر الخير وحده لأنه المقتضي بالذات، والشر مقضي بالعرض، إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً، أو لمراعاة الأدب في الخطاب. (البيضاوي 1418هـ، 11/2)، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله (ﷺ) سَأَلَ ربه أَن يجعل له ملك فارس والروم في أمته فَأنزل الله (قل اللَّهُمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء). (السيوطي 1432هـ، 171/2).

من هذه النصوص يُظهرُ جمالية الواو الواصلة على سبيل التمثيل ويحسن الاستدلال على ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ (فاطر: 2).

فمن الواضح أنَّ الرّسل بُعِثوا رحمةً للنَّاس فلا يقدر على إرسالهم غيرُ اللَّه، وقيل: ما يأتيهم به اللَّهُ من مطرٍ أو رزقٍ فلا يقدر أحد أن يُمسكهُ، وما يُمسكُ من ذلك فلا يقدر أحد على أن يرسلهُ. وقيل: هو الدُّعاء: قاله الضَّحَّاك، وعن ابن عبَّاس: من توبة. وقيل: من توفيق وهداية، ولكن لفظُ الرَّحمة يجمع ذلك إذ هي منكّرة للإشاعة والإبهام، فهي متناولة لكل رحمة على البدل، فهو عام في جميع ما ذكر، وَفِي مُوطَّأ مالك: أَنَّهُ بلغهُ أنَّ أبا هريرة كان يقول إذا أصبح وقد مُطِر النّاسُ: مُطِرنا بِنَوء الفتح، ثُمَّ يتلو هذه الآية" ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها". (القرطبي 1964م، 321/14).

قال الرازي: ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الأمر، وقال ما يفتح اللَّهُ للنَّاس يعني إن رحم فلا مانع له، وإن لم يرحم فلا باعث له عليها، وفي الآية دليل على سبق رحمته غَضبَهُ من وجوه: أحدها التَّقديمُ حيث قدّم بيان فتح أبواب الرَّحمة في الذّكر، وثانيها: فإنّ قوله تعالى: وما يمسك عامٌ من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى: (ما يفتح اللَّهُ للنَّاس من رحمة) فإنّه مخصص مبيّن، وثالثها قوله: من بعده أي من بعداللَّه، فاستثنى هاهنا وقال لا مرسل له إلَّا اللَّهُ فنزل له مرسلا، وعند الإمساك قال لا ممسك لها، ولم يقل غير اللَّه لأنّ الرَّحمة إذا جاءت لا ترتفع فإنّ مَن رحمه اللَّهُ في الآخرة لَا يعذّبه بعدها هو ولا غيره، ومن يعذّبه اللَّهُ فقد يرحمهُ اللَّهُ بعد العذاب كالفساق من أهل الإيمان، ثمّ قال تعالى: وهو العزيز أي كامل القدرة الحكيم أي كامل العلم. (الرازي 1420هـ، 26/ 221 - 222)، ويقول "ابن عاشور": (الفتح) تمثيلية لإعطاء الرّحمة إذ هي من النّفائس الَّتي تشبه المدَّخرات المُتنافَس فيها فكانت حالة إعطاء اللَّه الرّحمة شبيهة بحالة فتح الخزائن للعطاء، فأُشير إلى هذا التَّمثيل بفعل الفتح، وبيانه بقوله: من رحمة قرينة الاستعارة التّمثيلية، وورد عنده حول حقيقة الإمساك: أخذ الشَّيء باليد مع الشّدّ عليه بها لئلا يسقط أو ينفلت، وهو يتعدّى بنفسه، أو هو هنا مجاز عن الحبس والمنع ولذلك قُوبل به الفتح، فقوله هنا: وما يمسك حذف مفعوله لدلالة قوله: ما يفتح اللَّهُ للنَّاسِ من رحمةٍ عليه، والتَّقدير: وما يمسكه من رحمة، ولم يُذكر له بيان استغناءً ببيانه من فعل. (ابن عاشور 1984م، 252/22)، وقد عُطِفَ وهو العزيز الحكيم تذييل رُجِّح فيه جانب الإخبار فعطف، وكان مقتضى الظّاهر أن يكون مفصولاً لإفادة أنّهُ يفتحُ ويُمسكُ لِحكمة يعلمها، وأنّه لَا يستطيع أحد نقض ما أبرمه في فتح الرّحمة وغيره من تصرُّفاته لأنّ اللَّه عزيز لا يمكن لغيره أن يغلبه، فإنّ نقض ما أَبرم ضرب من الهوان والمذّلة. (ابن عاشور 1984م، 22/ 253).

ومما ورد في محكم كتابه عز وجلّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ﴾ (البروج: 13،14)، حيث ذكر الزمخشري: يبدئ البطش ويعيده، يعنى: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة، أو دلّ باقتداره على الإبداء والاعادة على شدة بطشه ، وفي ذلك وعيد للكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالاعادة، وقُرئ: يبدأ الْوَدُودُ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود: من إعطائهم ما أرادوا. (الزمخشري 1407هـ، 733/4).

وقيل في (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) يُبْدِئُ الخلق ويعيده، أو يُبدِئُ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة، وكذلك هو سبحانه الغفُورُ لمن تاب، والودودُ المحب لمن أطاع. (البيضاوي 1418هـ، 301/5)، ويقول "أبو السعود": هُو يُبدىءُ الخلق وهو يعيده من

غيرِ دخلٍ لأحدٍ في شيءٍ منهُما ففيهِ مزيد تقرير لشدته بطشِه أوْ هُو يبدىءُ البطشَ بالكفرةِ في الدُّنيا وَيعيدُه في الآخرةِ. (أبو السعود 1431هـ، 138/9).

وتصلح لأن تكُون تعليلاً لجملة: إِنَّ بطش ربّك لشديد، لأن الَّذي يبدىء ويُعيد قادر على إيقاع البطش الشَّديد في الدُّنيا وهو الإبداء، وفي الآخرة وهو إعادة البطش، وتصلح لأن تكون إدماجًا للاستدلال على إمكان البعث أي أن الله يُبديء الخلق ثمّ يُعيدهُ (ابن عاشور 1984م، 248/30)، فيكون كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ۝ ﴾ (الروم: 27).

هذا هو شأن الواو التي توصل بين الآيات في نظام بديع ودقة متناهية ينفردُ بها أسلوب القرأن الكريم المعجز بنظمه وتأليفه، نستنتج مما ذكرنا من آيات كريمات أنّ السياق القرآني دقيق في استعمال الحروف الواصلة واختيار الأنسب منها للمواضع المتشابهة في آي الذكر الحكيم، وكلما استنطقنا نصّاَ زادنا منه إعجاباَ وآنبهاراً والذي يدل على قدرة منشئه، فلا يسعنا إلا أن نردد تبارك الله أحسن الخالقين.

٤. الخاتمة

١.٤. النتائج

بعد هذه الرحلة العلمية يمكن الخروج بجملة من النتائج، هي:

1. ظاهرة الفصل والوصل تُعد من الظواهر المهمة والصّعبة في الوقت ذاته، وتحتاج من الباحث الالمام والتمكن من الظواهر اللغوية الأخرى وخصوصاً البلاغية منها، لأن أغلب الظواهر البلاغية كالايجاز والاطناب، والتقديم والحذف وغيرها من الظواهر الأخرى ناتجة عنها ومتولدة منها، لذلك كانت معرفة الفصل من الوصل معرفة للبلاغة.
2. وجد البحث أن الفصل ولا سيما في كمال الاتصال يرتبط ارتباطاً شديداً بموضوع العطف، ولا سيما (عطف البيان) دون إستخدام حروف العطف، وكذلك ارتباطه بموضوع التأكيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، وارتباطه أيضاً بموضوع البدل بأنواعه الثلاثة، وجاء ذلك على وفق تطبيقات بليغة في سور القرآن تعزيزاً لغاية الموضوع وبيان أهميته وأركانه.
3. يُعد أسلوب الفصل والوصل من أهم مظاهر الخروج عن نطاق الجملة الواحدة، والتجاوز إلى إطار القطعة أو النص الكامل، وهذا ما يعين على الفهم الشامل والنظرية الكلية إلى النصوص بعيداً عن التجزئة والتقطيع الذين يخلّان بجمالية الكلام ويضرّان بوحدته.
4. سار البلاغيون في اتجاهين في أثناء تناولهم للفصل والوصل، ويعتمد بعضهم كعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري وابن الأثير على الذّوق في التحليل، ويُعني بمواطن الجمال، ويهتم بعضهم الآخر كالسّكاكي والقزويني والتفتازاني بالقاعدة وإيجاد الشاهد المناسب لها.
5. كل اسم من اسماء الله الحسنى له بناء صرفي خاص به، وكل بناء صرفي له دلالة بنائية تختلف عن بناء الآخر، تزيد او تنقص، تظهر أو تختفي، وإن كانت تنتمي إلى مادة لغوية واحدة، لأن كل عدول من صيغة بنائية إلى صيغة اخرى يلحقه عدول من معنىً إلى آخر، كالغفّار والغفور، والقادر والمقتدر والقدير، وقد كان لكل بناء دلالة ينفرد بها الاسم عن أخيه في النص القرآني حيث وقع في الآية مناسباً للسياق، وأنتج حضوره في مكانه جملةً من الاشارات الدلالية والطاقات الايحائية.
6. نستنتج مما ذكرنا من آيات كريمات حول الوصل بحرف الواو أنّ السياق القرآني دقيق في استعمال الحروف الواصلة واختيار الأنسب منها للمواضع المتشابهة في آي الذكر الحكيم.

5. المصادر والمراجع

القرآن الكريم

-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . (د.ت). الصاحبي. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الجلبي وشركاه.

-أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي. 1420هـ- 1999م. تفسير القرآن العظيم. دار طيبة للنشر والتوزيع.

-أبو حامد الغزالي. 1420هـ - 1999م. المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى. دمشق: مطبعة الصّباح.

-أبو سليمان حمد الخطابي. 1436هـ بيان إعجاز القرأن . دار المعارف بمصر .

-أبو منصور الجواليقي. 1361هـ المعرب في الكلام الأعجمي. مصر: دار الكتب المصرية.

-أحمد أحمد بدوي. 2005م. من بلاغة القرآن. مصر: شركة نهضة.

-أحمد مختار عمر. 1418هـ - 1997م. لغة القرآن دراسة توثيقية فنية. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
-الخطيب القزويني. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة. الكويت: دار الكتب الحديث.
-جارالله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري. 1407هـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . بيروت: دار الكتاب العربي.
-حامد أحمد الطاهر . 2002. الجامع لأسماء الله الحسنى . القاهرة: دار الفجر للتراث.
-رقاز رقية. 2021. "الإعجاز البلاغي لأسماء الله الحسنى في الفاصلة القرآنية." مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية 104 _ 121.
-شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. 2006. الأسني في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته. القاهرة: دار المعارف.
-صبرينة ماضي. 2012م. بلاغة أسماء الله الحسنى بين الدلالة المعجمية والاستخدام القرآني. الجزائر.
-عائشة بنت الشاطيء. 1971. الإعجاز البياني للقرآن. مصر: دار المعارف.
-عائشة محمد علي عبدالرحمن بنت الشاطىء. 1431هـ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. دار المعارف.
-عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (د.ت). المزهر في علوم اللغة. القاهرة: مؤسسة الحلبي.
-عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. 1431هـ الإتقان في علوم القرآن. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
-عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ. 1431هـ البيان والتبيين. بيروت: دار و مكتبة هلال .
-عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء سيبويه. 1408هـ_1988م. الكتاب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
-عيسى أبو الحسن الرُّماني. 1436هـ النكت في إعجاز القرآن. مصر: دار المعارف.
-غسان حمدون. 1419هـ - 1999م. إعجاز القرآن و أسماء الله الحسنى. اليمن _ الصنعاء: دار الفكر المعاصر.
-فاضل صالح السّامرائي. 2007. معاني الأبنية في العربية. عمان : دار عمار .
-كمال الدين عبد الغني المرسي. 1999. فواصل الآيات القرآنية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
-محمد أبو زهرة. (د.ت). المعجزة الكبرى . القاهرة: دار الفكر العربي.
-محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ عقيلة. 1440هـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن. مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات.
-محمد بن الطيب الباقلاني. 1349هـ إعجاز القرآن. القاهرة: (د.ت).
-محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي. 1376هـ_1957م. البرهان في علوم القرآن. مصر: دار إحياء الكتب العربية.
-محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور. 1988. لسان العرب. بيروت: دار الجيل.
-محمد بن يوسف الصالحي الشامي. 1414هـ _ 1993م. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله و أعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد. بيروت _ لبنان: دار الكتب العلمية.
-محمد علي أبو حمدة. 1978. من أساليب البيان في القرآن الكريم. عمان.
-مصطفى الغلاييني . 2007. جامع الدروس العربية. بيروت: دار الفكر.
-يحيى بن حمزة بن علي ابراهيم العلوي العلوي. 1912. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز . مصر : مطبعة المقتطف.

داپڕین و گەیاندن لە قورئانی پیرۆزدا :لێکۆڵینەوەیەکە لە سیفەتەکانی خوای گەورە

بەناز مظفر نورالدین
بەشی زمانی عەرەبی،کۆلێژی زمان،زانکۆی سەلاحەددین-هەولێر
banazmdhafar@gmail.com

دلدار غفور حمدامین
بەشی زمانی عەرەبی،کۆلێژی زمان،زانکۆی سەلاحەددین-هەولێر
deldar.hamadameen@su.edu.krd

پوختە

توێژینەوەکان لە زانستی مانایەکان وەک بەشێک لە سێ بەشەکەی ڕەوانبێژی دادەنرێت بەهۆی ئەو تێبینیە زۆرەی کە لە کاتی جێبەجێکردندا دەیانگرێتەوە، نوێ کراوەتەوە بەتایبەتی لە قورئانی پیرۆزدا، زانین و ئاشنابوون بە لێکترازان و گرێدان پێویستە بۆ تێگەیشتن لە زمانی قورئان، چونکە لەو ڕێگەیەوە زۆر مانا و بەند ڕوون دەکاتەوە، ئەمەش لە ڕێگەی کارپێکردن بە ئایەتەکان کە بریتی دەبێت لە وەسفەکانی خودای گەورە لە ئایەتەکان و ناوە پیرۆزەکانی خودا.

ئەم توێژینەوەیە لەسەر بنەمای پێشەکی و دەستپێک و دوو بڕگەیە، ئەو پێشەکییە لە پێناسەی ڕەوانبێژی قورئانی پیرۆز لە ئایەتەکانی وەسفی خودای گەورەدا هاتووە کە ناوی خودا و خەسڵەتەکانی تێدابوو، بەشی یەکەم بابەتەکان بەیەکبەستنەوەو جێبەجێکارییە، لە کاتێکدا توێژینەوەکە پشت بەستە بە کۆدەکانی ڕاڤەکەر و ڕەوانبێژی و هەندێک لە سەرچاوە هەمەجۆرەکانی تری پێویست بە توێژینەوەکە، وەک پاشکۆی توێژینەوەکە بە ئەنجامێک کە گرنگترین دەرئەنجامەکانی تێدایە.

ووشە سەرەتاییەکان: لێکترازان، بەیەکبەستن، ماناناسی، ناوی خوای پیرۆز، قورئانی پیرۆز.

Separation and Connection in the Holy Quran: A study in the Characteristics of Allah Almighty

Banaz Mudhafar Nooruldeen
Department of Arabic,College of Languags,Salahaddin University-Erbil
banazmdhafar@gmail.com

Deldar Ghafoor Hamadameen
Department of Arabic,College of Languags,Salahaddin University-Erbil
deldar.hamadameen@su.edu.krd

Abstract

The studies of the symantec, as considered a branch of the three branches of rhetoric, remain abundant and renewed because of the many indications they contain when used, especially in the Holy Quran. The familiarity with separation and connection is a must-know for the student of the language of the Quran. Many meanings and rulings are clarified through it, and this will be evident through the application of the verses that contain the descriptions of Allah almighty in the verses of the most beautiful names of Allah.

This research consists of an introduction, background, and two sections. The background deals with the definition of the eloquence of the Holy Quran in the verses of the attributes of Allah almighty, which are contained in the verses that include the names of Allah and his attributes, the most high. Explanatory and rhetorical blogs and other various sources were required by the research, as the research was appended with a conclusion that included the most important results.

Keywords: Separation, Connection, Eloquence, ALLAH’s Names, The Holy Quran.